الأهرام

المصدر: الوفد

التاريخ : ٨ ابريل ٢٠٠٢

بقلم: نبيل زكى

# معركة كنيسة المهد

## من خارج «الوفد»

كنيسة المهد فى بيت لحم، التى أقيمت فوق مكان مولد السيد المسيح عليه السلام.. محاصرة بالدبابات. وتتعرض هذه الكنيسة، التى تعد من أقدس المواقع الدينية المسيحية فى العالم لنيران المدافع الرشاشة بعد أن قامت قوات السفاح شارون بتفجير إحدى بواباتها بالأسلحة الثقيلة وقتل قارع أجراسها. ويرفض تلاميذ هتلر السماح لمثلى الكنائس المسيحية بدخول الكنيسة التى يوجد فى داخلها رهبان وقساوسة ومواطنون ومناضلون فلسطينيون كانوا يظنون أن لدور العبادة قدسيتها وحرمتها. ولكن بيوت الله لم تعد ملجأ للجميع. وها هو راهب يوجه نداء إلى المجتمع الدولى من داخل كنيسة المهد يطلب النجدة بعد أن نفدت المواد الغذائية والطبية.. وقبل وقوع مجزرة فى حالة اقتحام النازيين الجدد للكنيسة. ولكن، لا سميع ولا مجيب.. حتى من جانب هؤلاء الذين يلقنوننا الدروس عن الحضارة والمدنية والحفاظ على القيم الدينية.. فى الغرب.

يقول الكاتب البريطانى «روبرت فيسك» إن الجثث تتعفن فى مدينة بيت لحم، وإن الجنود الإسرائيليين يحاصرون مدنيين ومقاتلين فلسطينيين ورجال دين فى مكان ميلاد السيد المسيح.. فالجثث لا تجد من يدفنها. وأحدث حروب إسرائيل تتحول إلى تراجيديا إنسانية وسياسية على نطاق واسع فى الوقت الذى جرى فيه تدمير آخر الرموز المادية لاتفاقية أوسلو.. ومعها السلطة الوطنية الفلسطينية.

المجازر مفتوحة فى المدينة

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

القديمة فى نابلس وفى مخيم جنين.. والصمود الفلسطينى.. اسطورى. وها هى كنيسة المهد تتحول أيضا إلى ميدان معركة. ومن هنا يتساءل روبرت فيسك :«ما الذى يبقى مقدسا؟» وهو يريد أن يقول إنه لم يعد هناك أى شىء مقدس عند جحافل المحتلين البرابرة.

وهذه الجحافل، التى تحتمى بارتال من الدبابات، تمنع دخول الطعام والدواء إلى داخل كنيسة المهد وتمنع إسعاف الجرحى داخل الكنيسة، وتترك عشرات الجرحى مضرجين بدمائهم، وتحول دون انقاذهم.

وكل ما فعلته الدول الأجنبية هو إجلاء رعاياها من بيت لحم. وتركت العدو يعيث فسادا، ويدمر كل ما يجده أمامه.. ويقمع المواطنين من بيت إلى بيت ومن حارة إلى أخرى. لقد استباحوا مدينة السلام.

ورغم أن الراهب الفرنسيسكانى إبراهيم فلتس وجه نداء إلى المجتمع الدولى للتدخل، وقال «إننا نناشد دول العالم أن تهب لنجدتنا».. إلا أن رد الفعل يكاد يكون معدوما. لقد أوضح الراهب حقيقة الموقف عندما قال :«إذا لم تفعلوا شيئا لحل هذه المشكلة، فإننا فى خطر حقيقى داهم.. إذ يمكن أن نتعرض لمذبحة فى أى وقت».

وأضاف الراهب «إن الوضع خطير جدا بعد أن دمر الإسرائيليون باب كنيسة المهد فى الجزء الذى يتجمع فيه الفلسطينيون».

ويقول ميشيل صباح، بطريرك القدس ورئيس الكنيسة الكاثوليكية: «إن بيت الله مكان يلجأ إليه كل إنسان.. فهو ملجأ للجميع.. للفلسطينيين والإسرائيليين، وللمقاتلين وغير المقاتلين. ومن يدخل بيت الله كائن بشرى يطلب اللجوء ويسلم أسلحته».

هل تحرك أحد لكى يستجيب لطلب النجدة الصادر من داخل أقدس بقعة مسيحية فى العالم؟ هل تذكر هؤلاء الذين يتحدثون ليل نهار عن الضحايا الإسرائيليين من «المدنيين الأبرياء» أن حياة مئات الآلاف من المدنيين الأبرياء الفلسطينيين فى خطر من جراء الهجمات بالطائرات والمروحيات والدبابات على المخيمات والقرى والمدن والمستشفيات وسيارات الإسعاف؟

وهل اهتز الرئيس الأمريكى بوش وجماعته عندما أصيب سمير إبراهيم سلمان (٤٣ سنة)، قارع أجراس كنيسة المهد، برصاص جيش الاحتلال، أثناء ذهابه لقرع أجراس الكنيسة صباح يوم الخميس الماضى، ولم يتمكن أحد من الوصول إليه إلا بعد وقت طويل (بسبب رصاص القناصة الإسرائيليين الذين احتلوا أسطح الكنيسة).. ووجدوه.. قد فارق الحياة؟

## أقدم المقدسات

تقع كنيسة المهد فوق المغارة التى انجبت فيها مريم العذراء.. السيد المسيح. ولذلك سمى الميدان، الذى تطل عليه الكنيسة ميدان «المذود».. فى إشارة إلى أن المسيح ولد فى مذود (اسطبل). وهذا الميدان هو مركز احتفالات عيد الميلاد ثلاث مرات..كل سنة: احتفالات الكنيسة الغربية التى تبدأ فى ٢٤ ديسمبر، واحتفالات الكنيسة الشرقية فى ٧ يناير والاحتفالات الأرمنية فى ١٩ يناير.

وقد شيدت كنيسة المهد فى القرن الرابع الميلادى على يد «هيلين» والدة امبراطور بيزنطة قسطنطين. ولم يبق من البناء الأصلى سوى صحن الكنيسة وصفوف الأعمدة الأربعة المصنوعة بطريقة أهل كورينثيا فى بلاد الإغريق، وتحمل صورا للرسل. وأعيد بناء الكنيسة فى القرن السادس بواسطة الامبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م). وعندما وقع الغزو الفارسى فى عام ٦١٤م لم تتعرض الكنيسة لأى أضرار. وتقول بعض الروايات إن الغزاة تأثروا باللوحات الفنية التى شاهدوها داخل الكنيسة وتصور المجوس القادمين من بلاد فارس، والذين كان يطلق عليهم «حكماء الشرق»، وهم يرتدون الأزياء الفارسية. وكان هؤلاء المجوس قد ساروا على هدى نجم فى السماء - مبشرين بمولد المسيح - قادهم إلى المغارة.

كان مبنى الكنيسة قد دمر تماما فى مطلع القرن السادس الميلادى لكى يعيد جستنيان بناءه. وعلى مر السنين توسع المبنى. ويغطى مجمع مبانى الكنيسة مساحة تصل إلى ١٢ ألف متر مربع. ويشمل - إلى جانب الكنيسة- أديرة للارثوذكس اللاتين واليونانيين والأرمن.

وكان القديس جوستين (الشهيد) هو الذى حدد الموقع على أنه مكان مولد المسيح. وجاء هذا التحديد فى القرن الثانى الميلادى.

## ممنوع راكبي الجياد

ويقع «المذود» الذى ولد فيه السيد المسيح تحت مذبح أو هيكل

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

كنيسة المهد. وهذا المذود هو مجرد صخرة كبيرة تم نحتها. وتستطيع أن تتعرف على مكان مولد المسيح بالدقة بواسطة نجمة فضية لها ١٤ رأسا وتوجد فوق حجر رخامى. وقد تم تغليف المذود بالرخام الأبيض. وعند ولادة المسيح كان المذود يحتوى على علف أو عليق للحيوانات.. خاصة التبن. وقد وضعت العذراء وليدها فوقه فور ولادته. وثمة كتابة باللغة اللاتينية ترجمتها :«هنا ولد المسيح من مريم العذراء».

والمدخل الرئيسى لمبنى الكنيسة (البازيليكا) عبارة عن باب صغير يحمل اسم باب التواضع أو الاتضاع ولكى يدلف منه الزوار.. لابد أن يكونوا فى وضع الانحناء كما لو كانوا يدخلون كهفا أو مغارة.. ويقال إن هذا الباب صنع في عهد العثمانيين لمنع الفرسان من راكبى الجياد من دخول الكنيسة بجيادهم. ويقال أيضا إن هذا الباب ذا السقف الخفيض - الذى يكاد المرء يسجد عند المرور به- يستهدف منع اللصوص المتجولين من دخول الكنيسة فوق ظهور جيادهم.

والمشهد الخارجي للكنيسة يشبه القلعة، ويقف شاهدا على التاريخ المضطرب للكنيسة، التي ظلت على مدى قرون محورا لأكبر الحروب للسيطرة على الأماكن المقدسة.

فقد استولت عليها جيوش، ودافعت عنها جيوش مع تعاقب الأزمنة، بما فيها جيوش المسلمين والفرنجة.

وتخضع الكنيسة لإشراف مشترك من كنيسة الأرثوذكس الأرمن، وكنيسة الروم الكاثوليك، وكنيسة الأرثوذكس اليونانيين. وتتولي الكنيسة الأولى مسئولية مغارة الميلاد، بينما تتولى الكنيسة الثانية رعاية المذود، وتشرف الكنيسة الثالثة على المذبح أو الهيكل الأكبر فوق المغارة.

ويتحد المبنى الرئيسى للكنيسة شكل الصليب، وهو مزخرف بطريقة تنم عن ذوق رفيع.

وقد أهدى الملك الإنجليزى هنرى الرابع الخشب من أشجار البلوط فى بلاده لصنع سقف الكنيسة، كما ساهم بمادة الرصاص لتغطية السقف، غير أن العثمانيين نزعوه لكى يذيبوه ويستخدموه كذخيرة فى حربهم ضد جيش البندقية.

وصحن الكنيسة مقسم إلى أربعة أقسام بواسطة صفوف الأعمدة الأربعة. وقد حفر العديد من الزوار اسماءهم وتوقيعاتهم على الأعمدة على امتداد القرون. وفى أرضية صحن الكنيسة، يوجد ثقب يتيح لك أن ترى بقايا الموزاييك البيزنطى الذى كان يغطى أرضية الكنيسة الأصلية. ويقع مذبح الكنيسة تحت ثريا من الفضة والذهب. كما يوجد سلم على جانبى المذبح يقود إلى المغارة التى تتناثر حولها ١٥ لمبة تضيء البقعة المقدسة. وعلى مقربة من المذود، الذى يقع فى المغارة، يوجد مصلى أو كنيسة صغيرة خاصة بالمذود، حيث وضعت مريم طفلها. وتوجد أيضا مصليات أو كنائس صغيرة متعددة مثل مصلى الأبرياء، وهو مخصص لذكرى الضحايا من الأطفال الذين ذبحهم الحاكم هيرود لكى يضمن أنه قتل الطفل يسوع المسيح. وهناك مصلى القديس يوسف، حيث ظهر له الملاك ليأمر العائلة المقدسة بالهرب إلى مصر.

وتجتذب الكنيسة الآلاف من الحجاج سنويًا من كل مكان فى العالم. وكان هؤلاء الحجاج يتدفقون على بيت لحم أو يقطعون الطريق سيرًا على الأقدام من القدس إلى ميدان المذود فى ساعتين ونصف الساعة قبل أن يستخدموا - فى العصور الحديثة - قطارا يبدأ من محطة أبو طور.

وتقع بيت لحم على تل صخرى على ارتفاع ٢٦٠٠ قدم فوق سطح البحر، ويعود تاريخها إلى أزمنة سحيقة. ويصل عدد سكانها إلى خمسين ألف نسمة. واسمها باللغة العربية يعنى «بيت اللحم»، وباللغة العبرية يعنى «بيت الخبز»، غير أن بعض المؤرخين يؤكدون أن «بيت لحم» باللغة العربية يرجع أصلها إلى «بيت لاهمان»، وهو أحد الأرباب الكنعانيين.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية